اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالسَّادِسُ وَالْعِشْرُونَ

تَرْنِيمَةُ الْمَصَاعِدِ

1 عِنْدَمَا رَدَّ الرَّبُّ سَبْيَ صِهْيَوْنَ صِرْنَا مِثْلَ الْحَالِمِينَ. 2حِينَئِذٍ امْتَلأَتْ أَفْوَاهُنَا ضِحْكاً وَأَلْسِنَتُنَا تَرَنُّماً. حِينَئِذٍ قَالُوا بَيْنَ الأُمَمِ: «إِنَّ الرَّبَّ قَدْ عَظَّمَ الْعَمَلَ مَعَ هؤُلاَءِ». 3عَظَّمَ الرَّبُّ الْعَمَلَ مَعَنَا وَصِرْنَا فَرِحِينَ. 4اُرْدُدْ يَا رَبُّ سَبْيَنَا مِثْلَ السَّوَاقِي فِي الْجَنُوبِ. 5اَلَّذِينَ يَزْرَعُونَ بِالدُّمُوعِ يَحْصُدُونَ بِالابْتِهَاجِ. 6اَلذَّاهِبُ ذِهَاباً بِالْبُكَاءِ حَامِلاً مِبْذَرَ الزَّرْعِ، مَجِيئاً يَجِيءُ بِالتَّرَنُّمِ حَامِلاً حُزَمَهُ.

ابتهاج بعد دموع

في هذا المزمور يذكر المرنم بدموع سبي بني إسرائيل المؤلم في بابل مدة سبعين سنة بدءاً من عام 586 ق م، كانت كلها تعباً وحزناً وألماً بسبب الاغتراب عن أرض الآباء، وعن هيكل الرب، بعد أن هدمه نبوخذنصَّر ونهب أوانيه وأخذ أفضل أفراد الشعب سبايا. ويذكر المرنم بابتهاج النجاة المعجزية غير المتوقَّعة عندما تدخَّل الله وعفا عنهم وأمر برجوعهم، فأصدر كورش الفارسي تصريحه بعودتهم، فعاد البعض بقيادة زربابل، وآخرون مع عزرا الكاتب، وآخرون مع الوالي نحميا. فكان رجوعهم كأنه حلمٌ، لا يكادون يصدقون حدوثه. ويُطلَق على الرجوع من السبي «الخروج الثاني» باعتباره في مثل عظمة الخروج الأول من مصر. وقد أذهل هذان الخروجان الأمم.

وواجه الراجعون من السبي مصاعب عديدة بعد أن بدأوا إعادة بناء الهيكل وترميم الأسوار المنهدمة، فصلّوا: «اردُد يا رب سبينا» وكأنهم يواجهون سبياً جديداً. وهم يطلبون من الله أن يجعل نهايتهم فرحاً كالحصاد، بالرغم من أن بدءهم مؤلم كمن يتعب وهو يزرع ويسقي وينتظر.

وهناك أوجه شبه بين مزمورنا ومزمور 85 الذي يقول: «رضيتَ يا رب على أرضك.. غفرت إثم شعبك.. رجعتَ عن حموّ غضبك.. أَرجِعنا يا إله خلاصنا وانفِ غضبك عنا. هل إلى الدهر تسخط علينا؟» (آيات 1-5).

وعندما نرنم هذا المزمور نتذكر أن هناك أنواعاً من السبي، يردُّ الرب أجسادنا ونفوسنا منها كلها، وينقذنا من كل آثارها المؤلمة، مادية كانت أو معنوية، جسدية كانت أم روحية. «كثيرةٌ هي بلايا الصدِّيق، ومن جميعها ينجيه الرب» (مز 34: 19). فالسبي لا يعني فقط خروجاً من بلادنا إلى بلاد أخرى، لكنه يعني أيضاً خروجنا من النجاح إلى الفشل، أو من الصحة إلى المرض، أو من القوة الروحية إلى الضعف الروحي. ومنها كلها يردُّنا الرب ويُرجعنا، ليس فقط إلى ما كنا فيه، بل إلى أفضل مما كنا فيه، فنقول: «يردُّ نفسي. يَهديني إلى سبل البر من أجل اسمه» (مز 23: 3).

في هذا المزمور نجد:

أولاً – معجزة النجاة الماضية (آيات 1-3)

ثانياً – طلب نجاة جديدة (آيات 4-6)

أولاً ـ معجزة النجاة الماضية
(آيات 1-3)

1 – **معجزة فاقت التصوُّر**: «عندما ردَّ الرب سبي صهيون صرنا مثل الحالمين» (آية 1). يذكر المرنم النجاة من ضيق السبي ومتاعبه والبُعد عن مكان العبادة. ولكنه يتوقَّف ليتأمل المعجزة السماوية التي ردَّتهم إلى ديارهم، وجعلتهم كالحالمين لفرط عظمة المعجزة.. تُرى هل هو حلمٌ يستيقظون بعده على الحقيقة المُرة أنهم لا يزالون في السبي، أو هل سيقاسون سبياً من نوع جديد؟.. لقد كانوا مثل تلاميذ المسيح عندما ظهر لهم بعد قيامته، فكانوا غير مصدِّقين من الفرح ومتعجبين (لو 24: 41).. وكانوا مثل بطرس المسجون الذي كان ينتظر إعدامه في اليوم التالي، وقد راح في نوم عميق. فجاء ملاك الرب لينقذه، وأضاء أرجاء السجن بنور سماوي، وأيقظه، وطلب منه أن يلبس نعليه ويرتدي ثيابه وفوقها رداءه لأن الجو بارد في الخارج، فخرج يتبع الملاك وهو لا يعلم أن الذي يجري حوله حقيقي، بل يظن أنه يحلم. وجازا أربع نقاط حراسة حتى وصلا إلى باب السجن الرئيسي، ففتحه الملاك، وكان بطرس لا يزال

يظن أنه يحلم! فسار معه الملاك زقاقاً واحداً حتى قال بطرس في نفسه: «الآن علمتُ يقيناً أن الرب أرسل ملاكه وأنقذني» (أع 12: 6-11).

وينقذنا الرب من سبيٍ متنوع الأسباب، ويُخرجنا منه ضاحكين:

(أ) **النجاة من سبي الخطية**: الشعور بالذنب أشد قسوة ومرارة من كل سبي. ولكن الله يردُّ سبي الخاطئ التائب ويخلِّصه من سداد أجرة خطاياه بأن يغفرها له. كما يخلِّصه من نتائج خطاياه، وهي الخوف من الفضيحة وعذاب الضمير وانتظار الدينونة. كما يخلِّصه من سطوة الخطية فينصره على آثامه، ويكمل نقصاته، ويقوي ضعفاته، ويجعله قادراً أن يغفر لنفسه وللآخرين. قال المسيح: «إن ثبتُّم في كلامي فبالحقيقة تكونون تلاميذي، وتعرفون الحق والحق يحرركم.. الحق الحق أقول لكم، إن كل من يعمل الخطية هو عبد للخطية، والعبد لا يبقى في البيت إلى الأبد. أما الابن فيبقى إلى الأبد. فإن حرَّركم الابن فبالحقيقة تكونون أحراراً» (يو 8: 30-36). كل البشر عبيد الله لأنه خلقهم، فإن عاشوا في عبودية الخطية لا يبقون في محضره إلى الأبد، بل يُلقى بهم إلى النار المُعدَّة لإبليس وجنوده. أما الابن الذي حرَّره المسيح فيبقى إلى الأبد. وكل من يدعو باسم الرب يخلُص، وكل من يخلُص يجد نفسه كالحالمين، لأنه لا يكاد يصدِّق عظمة الغفران الإلهي.

(ب) **النجاة من سبي الضيق**: قد يكون الضيق مادياً أو معنوياً، وقد يكون الاثنين معاً، كما حدث مع يونان في جوف الحوت فقال: «دعوتُ من ضيقي الرب فاستجابني. صرختُ من جوف الهاوية فسمعتَ صوتي.. ثم أصعدت من الوهدة حياتي أيها الرب إلهي» (يون 2: 2، 6). وقد حدَّث الرسول بولس أهل كورنثوس عن ضيقة أصابته في آسيا فقال: «إننا تثقَّلنا جداً فوق الطاقة، حتى أيسنا من الحياة.. لكي لا نكون متكلين على أنفسنا، بل على الله الذي يقيم من الأموات. الذي نجانا.. وهو ينجي. الذي لنا رجاء فيه أنه سينجي أيضاً فيما بعد» (2كو 1: 8-10). وكل متضايق يائس ثم ينجيه الرب، يكون كالحالمين الذين لا يكادون يصدقون أنهم نجوا.

(ج) **النجاة من سبي المرض**: بعد أن أوشك أيوب على الموت، وأخذ لنفسه شقفةً ليحتكَّ بها وهو جالسٌ في الرماد «ردَّ الرب سبي أيوب لما صلى لأجل أصحابه، وزاد الرب على كل ما كان لأيوب ضِعفاً» (أي 42: 10). فكان أيوب كالحالمين. ولا شك أن لسان حاله كان يقول: «باركي يا نفسي الرب الذي يغفر جميع ذنوبك، الذي يشفي كل أمراضك، الذي يفدي من الحفرة حياتك، الذي يكللك بالرحمة والرأفة» (مز 103: 3).

(د) **النجاة من سبي الاحتياج**: «اتَّقوا الرب يا قديسيه، لأنه ليس عَوَزٌ لمتَّقيه. الأشبال احتاجت وجاعت، وأما طالبو الرب فلا يعوزهم شيء من الخير» (مز 34: 9، 10) .. شكا إبراهيم الخليل إلى الرب وقال: «إنك لم تعطني نسلاً، وهوذا ابن بيتي وارثٌ لي». فقال الرب له: «لا يرثك هذا، بل الذي يخرج من أحشائك هو يرثك» (تك 15: 3، 4). ومضت سنوات قبل أن يحقِّق الله وعده. ثم جاء ثلاثة ملائكة يكلِّمون إبراهيم عن إنجابه ابناً من سارة، فضحكت سارة في باطنها، لأنها وزوجها شيخان.. لكن «هل يستحيل على الرب شيء؟». «وافتقد الرب سارة كما قال، وفعل الرب كما تكلم، فحبلت سارة وولدت لإبراهيم ابناً في شيخوخته» (تك 18: 10-14 و21: 1-4) وسُمِّي المولود «إسحاق» بمعنى ضحك، فقد كان إبراهيم وسارة كالحالمين! وقالت سارة: «قد صنع إليَّ الله ضحكاً. كل من يسمع يضحك لي».

2 – فرح الراجعين: «حينئذ امتلأت أفواهنا ضحكاً وألسنتنا ترنُّماً» (آية 2أ). عندما أفاق الراجعون من كابوس السبي للحقيقة الرائعة أنهم عائدون، أدركوا أن الرب بالحقيقة ردَّ سبيهم، ففاضت قلوبهم فرحاً عظيماً، فقد كانت الرحمة أعظم مما توقَّعوا، فلم يسعهم إلا أن يضحكوا حتى امتلأت أفواههم ضحكاً، وعبَّرت ألسنتهم عن فرحهم بالترنيم. «صوت ترنُّم وخلاص في خيام الصديقين. يمين الرب صانعةٌ ببأس» (مز 118: 15). لقد انطبق عليهم الوصف: «فتبتهجون بفرحٍ لا يُنطَق به ومجيد، نائلين غاية إيمانكم خلاص النفوس. الخلاص الذي فتش وبحث عنه أنبياء، الذين تنبأوا عن النعمة التي لأجلكم» (1بط 1: 8-10). حقاً «القلب الفرحان يجعل الوجه طَلِقاً» (أم 15: 13).

3 – دهشة الأمم: «حينئذ قالوا بين الأمم: إن الرب قد عظَّم العمل مع هؤلاء» (آية 2ب). كان صوت الضحك والترنُّم والفرح صادقاً وعالياً، فتساءل الوثنيون من حولهم عن سبب هذا الضحك، فعرفوا وانذهلوا، وأدركوا أن ما جرى مع بني إسرائيل لا يمكن أن يكون إلا من عظيم صُنع الرب. «أعلن الرب خلاصه. لعيون الأمم كشف برَّه» (مز 98: 2).. «قد شمَّر الرب عن ذراع قُدسه أمام عيون كل الأمم، فترى كل أطراف الأرض خلاص إلهنا» (إش 52: 10).

4 – شكر الراجعين: «عظَّم الرب العمل معنا وصرنا فرحين» (آية 3). بكل الشكر اعترف العائدون بعمل الرب العظيم وأذاعوا أخباره. لم يعزوا هذه العودة لصلاح عزرا الكاتب، ولا لمكانة نحميا الوالي، بل لله العظيم، ولسان حالهم يقول: «ترنَّمي أيتها السماوات لأن الرب قد فعل. اهتفي يا أسافل الأرض. أشيدي أيتها الجبال ترنُّماً، الوعرُ وكل شجرة فيه، لأن الرب قد فدى يعقوب، وفي إسرائيل تمجَّد.. ومفديو الرب يرجعون ويأتون إلى صهيون بالترنم، وعلى رؤوسهم فرح أبدي. ابتهاج وفرح يدركانهم. يهرب الحزن والتنهُّد» (إش 44: 23 و51: 11).

عندما بشَّر الملاك جبرائيل العذراء مريم بأنها وجدت نعمة عند الله، وأنها ستحبل وتلد المسيح مخلِّص العالم، ذهبت إلى أليصابات نسيبتها التي طوَّبتها لأنها آمنت أن يتم ما قاله الرب لها، فرنمت العذراء: «تعظِّم نفسي الرب، وتبتهج روحي بالله مخلِّصي.. لأن القدير صنع بي عظائم، واسمه قدوس.. صنع قوةً بذراعه. شتَّت المستكبرين بفكر قلوبهم. أنزل الأعزّاء عن الكراسي ورفع المتَّضعين» (لو 1: 46–54).. «افرحوا في الرب كل حين وأقول أيضاً افرحوا» (في 4: 4).

ثانياً ـ طلب نجاة جديدة
(آية 4-6)

طلب المرنم من الرب نجاةً جديدة، شبَّهها بشيئين: بامتلاء السواقي الجافة بمياه المطر، وبالحصاد المفرح بعد تعب الزرع.

1 – طلبَ ارتواءً مثل السواقي: «اردُد يا ربُّ سبينا مثل السواقي في الجنوب» (آية 4). الجزء الجنوبي من فلسطين المعروف بصحراء النقب منطقة جافة، تخلو جداولها من المياه أثناء الصيف، وتمتلئ بعد نزول أمطار الخريف.. وكان كالب بن يفنة قد أعطى ابنته عكسة أرض الجنوب الجافة، فقالت له: «أعطني بركة. لأنك أعطيتني أرض الجنوب فأعطني ينابيع ماء»، فأعطاها أبوها الينابيع العليا والينابيع السفلى (قض 1: 15). والمرنم، شأنه شأن «عكسة ابنة كالب» يطلب ينابيع للأرض الجافة، وكأنه يدعو الله: «ما أكرم رحمتك يا الله، فبنو البشر في ظل جناحيك يحتمون. يروون من دسم بيتك. من نهر نِعمك تسقيهم، لأن عندك ينبوع الحياة» (مز 36: 7–9). كانت حالة المرنم وحالة شعبه تشبه السواقي في الجنوب وقد جفَّت، فطلب فيض البركة ليروي عطشه ويُنبت زرعه، كما تمتلئ السواقي الجافة بأمطار الخريف المنعشة. أخطأ بنو إسرائيل وارتدّوا عن عبادة الإله الواحد، فقال عنهم: «شعبي عمل شرَّين: تركوني أنا ينبوع المياه الحية لينقروا لأنفسهم آباراً آباراً مشقَّقة لا تضبط ماء» (إر 2: 13)، فجفَّت منابع حياتهم الإيمانية، وعاقبهم بالسبي. ونحن نشبههم في احتياجنا إلى ملء سواقينا الروحية بالماء الحي الذي يعطي الحياة، فقد دعانا: «أيها العطاش جميعاً، هلموا إلى المياه.. اطلبوا الرب ما دام يوجد. ادعوه فهو قريب» (إش 55: 1، 6). وقال المسيح: «إن عطش أحد فليُقبل إليَّ ويشرب. من آمن بي كما قال الكتاب تجري من بطنه أنهار ماء حي» (يو 7: 37، 38). وهذا التغيير من الظمأ إلى الارتواء يتم بامتلائنا من الروح القدس، كما قيل بالنبي يوئيل: «ابتهجوا وافرحوا بالرب إلهكم، لأنه يعطيكم المطر المبكر على حقِّه، ويُنزل عليكم مطراً مبكراً ومتأخراً.. وأعوِّض لكم عن السنين التي أكلها الجراد.. ويكون بعد ذلك أني أسكب روحي على كل بشر» (يوء 2: 23، 25، 28). وقد تحققت هذه النبوة يوم الخمسين، ويمكن أن تتكرر معنا اليوم.

2 – طلب حصاداً مثل الزارع: »الذين يزرعون بالدموع يحصدون بالابتهاج. الذاهب ذهاباً بالبكاء حاملاً مبذر الزرع، مجيئاً يجيء بالترنُّم حاملاً حُزمه» (آيتا 5، 6). قبل نزول الأمطار تكون الأرض سوداء جافة مشقَّقة في انتظار البذور والمطر، فيحمل الفلاح مبذر الزرع ويبذر فيها بذوره بدموع تعب من يبذر ويسقي وينتظر الثمر. وعندما تهطل الأمطار ترتوي الأرض، وتختفي شقوقها، وتنمو البذور. وسرعان ما يجيء وقت الحصاد فيحصد الفلاح بابتهاج ويجمع محصوله وهو يرنم شكراً لله: «كللت السنة بجودك، وآثارك تقطر دسماً» (مز 65: 11).

ويطلب المرنم من الرب أن يحوِّل اختبار دموعه المؤلم إلى فرح وابتهاج وترنم. وقد كان، فبعد الرجوع من السبي كانت الأسوار منهدمة، والهيكل مدمَّراً، فامتلأت نفوسهم بالأحزان. وعندما شرعوا في بناء الهيكل «كثيرون من الكهنة واللاويين ورؤوسِ الآباء، الشيوخِ الذين رأوا البيت الأول، بكوا بصوت عظيم عند تأسيس هذا البيت أمام أعينهم» (عز 3: 12). ولكن الفرح ملأ قلوبهم بعد إكمال البناء «وبنو إسرائيل، الكهنة واللاويون وباقي بني السبي، دشَّنوا بيت الله هذا بفرح.. وعملوا عيد الفطير سبعة أيام بفرح، لأن الرب فرَّحهم» (عز 6: 16، 22).

وحزن الشعب الراجع عندما رأوا الأسوار المنهدمة، فقال لهم نحميا: «أنتم ترون الشر الذي نحن فيه، كيف أن أورشليم خربة وأبوابها قد أُحرقت بالنار. هلم فنبني سور أورشليم ولا نكون بعد عاراً» (نح 2: 17). وملأ الفرح قلوبهم بعد إكمال البناء «وعند تدشين سور أورشليم طلبوا اللاويين من جميع أماكنهم ليأتوا بهم إلى أورشليم لكي يدشنوا بفرح وحمد وغناء بالصنوج والرباب والعيدان.. وذبحوا في ذلك اليوم ذبائح عظيمة وفرحوا، لأن الله أفرحهم فرحاً عظيماً. وفرح الأولاد والنساء أيضاً. وسُمع فرح أورشليم عن بُعد» (نح 12: 27، 43).

وفي حياتنا الروحية توجد أحزان تتلوها أفراح، لأن الرب يردُنا منها، فنكون مثل السواقي الجافة التي تمتلئ بالمطر، ومثل الزارع الذي يفرح بالحصاد بعد تعب الزرع:

(أ) **الفرح الذي يعقب الحزن على الخطية**: يعزّي الرب كل من يحزن على خطاياه بأن يمنحه الغفران، فيفرح قلب التائب الذي لا يكتم خطاياه، بل يُقرّ بها ويتركها فيرحمه الله (أم 28: 13)، كما قال المسيح: «طوبى للحزانى لأنهم يتعزون» (مت 5: 4).

ويصلي المؤمن الذي اعترف بخطاياه فنال رحمة الرب، من أجل خاطئ آخر، فيكلم الله طالباً منه أن يتوّب ذلك الخاطئ. ثم يكلم الخاطئ عن ضرورة التوبة لله، فيجيب الله الصلاة، ويتوب ذلك الخاطئ، لفرح قلب المؤمن الذي دعاه لقبول المسيح، ولفرح قلب الخاطئ التائب بغفران خطاياه. ويقول الرسول بولس: «أنا غرست وأبلوس سقى، لكن الله كان ينمي.. والغارس والساقي هما واحد، ولكن كل واحد سيأخذ أجرته بحسب تعبه. فإننا نحن عاملان مع الله، وأنتم فلاحة الله، بناء الله» (1كو 3: 6-11). وهذا ما قاله المسيح لتلاميذه بعد ربح المرأة السامرية للتوبة: «الحاصد يأخذ أجرة ويجمع ثمراً للحياة الأبدية لكي يفرح الزارع والحاصد معاً.. أنا أرسلتكم لتحصدوا ما لم تتعبوا فيه. آخرون تعبوا وأنتم قد دخلتم على تعبهم» (يو 4: 36-38).

(ب) **الفرح الذي يعقب انتهاء الألم**: في برية الحياة نمُر بضيقات وآلام متنوعة، قد ننحني تحت وطأتها ونحزن ونخاف ولكن «احسبوه كل فرح يا إخوتي حينما تقعون في تجارب متنوعة.. طوبى للرجل الذي يحتمل التجربة، لأنه إذا تزكى ينال إكليل الحياة الذي وعد به الرب للذين يحبونه» (يع 1: 2، 12) «لأن للحظةٍ غضبَه. حياةٌ في رضاه. عند المساء يبيت البكاء وفي الصباح ترنم» (مز 30: 5).

(ج) **الفرح الذي يبدأ بلقاء المسيح**: عندما أوشكت خدمة المسيح على نهايتها قال لتلاميذه: «الحق الحق أقول لكم إنكم ستبكون وتنوحون والعالم يفرح. أنتم ستَحزنون ولكن حزنكم سيتحوّل إلى فرح.. عندكم الآن حزن، ولكني سأراكم أيضاً فتفرح قلوبكم، ولا ينزع أحدٌ فرحكم منكم» (يو 16: 20، 22). وحزن التلاميذ لما صُلب المسيح بينما فرح شيوخ اليهود لأنه اختفى من المشهد. أما بعد القيامة فتبدّل الموقف، وفرح التلاميذ عندما ظهر لهم وقال: «سلام لكم».. والآن ننتظر مجيء المسيح ثانيةً بكل الفرح، وعندما يعود ستسيل دموع الذين ينتظرونه بالفرح.

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالسَّابِعُ وَالْعِشْرُونَ

تَرْنِيمَةُ الْمَصَاعِدِ. لِسُلَيْمَانَ

1إِنْ لَمْ يَبْنِ الرَّبُّ الْبَيْتَ فَبَاطِلاً يَتْعَبُ الْبَنَّاؤُونَ. إِنْ لَمْ يَحْفَظِ الرَّبُّ الْمَدِينَةَ فَبَاطِلاً يَسْهَرُ الْحَارِسُ. 2بَاطِلٌ هُوَ لَكُمْ أَنْ تُبَكِّرُوا إِلَى الْقِيَامِ، مُؤَخِّرِينَ الْجُلُوسَ، آكِلِينَ خُبْزَ الأَتْعَابِ. لَكِنَّهُ يُعْطِي حَبِيبَهُ نَوْماً. 3هُوَذَا الْبَنُونَ مِيرَاثٌ مِنْ عِنْدِ الرَّبِّ، ثَمَرَةُ الْبَطْنِ أُجْرَةٌ. 4كَسِهَامٍ بِيَدِ جَبَّارٍ هَكَذَا أَبْنَاءُ الشَّبِيبَةِ. 5طُوبَى لِلَّذِي مَلأَ جُعْبَتَهُ مِنْهُمْ. لاَ يَخْزُونَ، بَلْ يُكَلِّمُونَ الأَعْدَاءَ فِي الْبَابِ.

العائلة تتعبَّد - 1

كانت العائلات المعيِّدة في أورشليم ترنم المزمورين 127 و128 ويُطلقون عليهما «مزموري الأسرة»، وهما يعلِّماننا عن صفات العائلة التقية السعيدة. وفي تأملنا فيهما ندعو الله أن يجعل عائلاتنا سعيدة تعبده في فرح، فنقول:«أما أنا وبيتي فنعبد الرب» (يش 24: 15). كان بنو إسرائيل، طاعةً لشريعة موسى، يصعدون إلى الهيكل ليعيِّدوا كعائلات. وقد صعدت العائلة المقدسة: الصبي يسوع لما بلغ الثانية عشرة من عمره، مع أمه العذراء القديسة مريم ويوسف النقي، إلى أورشليم في العيد.

وفي ترتيل هذين المزمورين تذكر كل عائلة فضل الله عليها، وتراجع حالتها الروحية، فيعتذر المسيء لمن أساء إليه، ويغفر المُساء إليه للمسيء، ويجتمع الشمل، وتترابط الأسرة، لأن العائلة التي تتعبَّد معاً تبقى معاً.

ونتعلم من هذين المزمورين أن نقيِّم علاقاتنا العائلية في نور كلمة الله المقدسة، لنتأكد أنها علاقات صحيَّة. ويشبِّه الوحي كلمة الله بمرآة تُرينا وجوهنا، وتُظهر لنا حقيقة حالتنا الروحية كعائلات، وتكشف لنا إن كنا سامعين عاملين بالكلمة، أم سامعين خادعين نفوسنا (يع 1: 22–24). كما أن الكلمة المقدسة ميزان روحي يساعدنا على تقييم حياتنا وتنقيتها من أية شوائب، عملاً بقول الوحي: «بِمَ يزكّي الشاب طريقه؟ بحفظه إياه حسب كلامك» (مز 119: 9)، وهي نور كاشفٌ وموجِّه يلفت انتباهنا إلى نقائصنا لنكملها، لأنه «سراجٌ لرِجلي كلامك، ونورٌ لسبيلي.. فتح كلامك ينير يعقِّل الجهَّال» (مز 119: 105، 130). وهي كالمقياس الذي عندما نقف إلى جواره نعرف ما وصلنا إليه، وكم بلغنا بالنسبة إلى قياس قامة ملء المسيح (أف 4: 13).

وعندما نفكر في عائلاتنا نأخذ في اعتبارنا العائلة الكبيرة التي نشأنا فيها، والعائلة الصغيرة التي نعيش معها، فالعائلة مستمرة وممتدة، نقول عنها بالمعنى الروحي: الله إله أبي إبراهيم وإسحاق ويعقوب، ولكنه إلهي أنا أيضاً. وتعتمد سعادة الأسرة على ما يمنحه الله لها من بركات، فهو الذي يبني البيت، وهو الذي يحرس أركانه قائمة ناجحة. والبيت أساس المجتمع، فإذا كانت العائلة سعيدة أصبح المجتمع سليماً، ويحفظ الرب المدينة.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – بدء البيت (آيتا 1، 2)

ثانياً – الأبناء في البيت (آيات 3 – 5)

أولاً - بدء البيت
(آيتا 1، 2)

تتحدث هاتان الآيتان عن عدم جدوى المجهود الإنساني بدون العون الإلهي.

1 – بناء البيت: «إن لم يبنِ الرب البيت فباطلاً يتعب البناؤون» (آية 1أ). الرب هو الباني الحقيقي لكل بيت، فقد يبني إنسان بيتاً ولا يسكن فيه (تث 28: 30). وطاعة كلمة الرب هي الأساس الذي يُقام عليه البيت السعيد، كما قال المسيح: «كل من يسمع أقوالي هذه ويعمل بها أشبِّهه برجل عاقل بنى بيته على الصخر. فنزل المطر وجاءت الأنهار وهبَّت الرياح ووقعت على ذلك البيت فلم يسقط، لأنه كان مؤسَّساً على الصخر» (مت 7: 24، 25). قد يرث الإنسان مالاً أو يربحه فيبني منزلاً، ولكن هذا البناء المادي لا يبني بيتاً دافئاً ولا

أسرة تخاف الرب وتحبه لأن «البيت والثروة ميراثٌ من الآباء، أما الزوجة المتعقِّلة فمن عند الرب» (أم 19: 14). وما أكثر من يعيشون في منازل فاخرة من حجر، لكنهم لا يتمتعون فيها بالعيشة البيتية السعيدة. نقرأ في تكوين 11 أن الناس بنوا برج بابل الذي ارتفع بروح التحدي لله، وسرعان ما انتهى أمره. ولكننا في تكوين 12 نقرأ أن الله بنى بيتاً وعائلة لتارح، أبِ إبراهيم الخليل، فعمَّر، ومن نسله وُلد المسيح مخلِّص العالم.

2 – حفظ البيت: «إن لم يحفظ الرب المدينة فباطلاً يسهر الحارس» (آية 1ب). الرب هو الحارس الحقيقي، وبدون حراسته لا يستمر البيت. نقرأ في التوراة أن الملك أخآب ملك إسرائيل اتفق مع الملك يهوشافاط ملك يهوذا على محاربة الأراميين لاسترداد مدينة راموت جلعاد التي احتلَّها الأراميون. ولما علم ملك أرام بالحرب، أمر جنوده بألا يقتلوا إلا الملك أخآب. وحماية لأخآب دخل يهوشافاط المعركة بملابسه الملكية، بينما دخل أخآب متخفياً، فهاجم الأراميون يهوشافاط، فصرخ، فعرفوا أنه ليس أخآب. غير أن جندياً أرامياً رمى سهماً عشوائياً فأصاب أخآب في مقتل. لقد حاول أخآب أن يحمي نفسه ففشل (2أخ 18)!

يبني الرب بيت الزوجين ويرزقهما نسلاً، فيصبح البيت مدينة. وإن لم يحفظ الرب هذه المدينة فلا جدوى من حراسة رب الأسرة لها. ويسلك الوالدون بوسائلهم البشرية طرقاً عديدة ليحفظوا مدينة البيت عامرة، فيعلِّمون أولادهم في أرقى المعاهد، ويوفرون لهم أفضل الاحتياجات المادية من مسكن ومأكل وملبس، ويحتفل أفراد العائلة بالمناسبات السعيدة، ويتبادلون الهدايا، ويقضون الأجازات معاً. ولكنهم يكتشفون أن هذه كلها لم تُسعِد البيت. أما صلاة العائلة معاً وذهابها إلى بيت الرب معاً فهما الوسيلة الفضلى لحفظ سلام العائلات، لأن الوحي يقول: «أنتم الذين بقوة الله محروسون بإيمان لخلاص مستعَد أن يُعلَن في الزمان الأخير» (1بط 1: 5).

3 – رخاء البيت: «باطلٌ هو لكم أن تبكروا إلى القيام، مؤخِّرين الجلوس، آكلين خبز الأتعاب. لكنه يعطي حبيبه نوماً» (آية 2). القيام والجلوس يرمزان إلى فترات العمل والراحة. والمقصود أن اختصار ساعات الراحة وإطالة ساعات العمل هما بلا فائدة إلا إن بارك الرب، وهو يرزق الذين يحبونه بغير حساب حتى أثناء نومهم.. كان سليمان، كاتب هذا المزمور، أغنى أهل زمانه وأكثرهم حكمة وذكاءً، وقد فطن إلى حقيقة أن «بركة الرب هي تُغني ولا يزيد (الله) معها تعباً» (أم 10: 22).

سُئل فلاح غني: «لماذا تستيقظ مبكراً وتسهر إلى وقت متأخر؟» فأجاب: «إن أردتَ أن تمتلك العالم فانهض مبكراً لتطلبه ولتفتش عليه. وإذا ملكتَه فاسهر إلى وقتٍ متأخر من الليل لتحافظ على ما ملكته منه!». هذه حكمة العالم التي تجعل الفرد يتعبَّد لصنم المال طوال يومه ويقلق عليه طول ليله، لأنه يظن أنه باجتهاده ويقظته يربح أموالاً تحفظ له سلامه، وتؤمِّن بيته وعائلته. لكن «لا بالقدرة ولا بالقوة، بل بروحي قال رب الجنود» (زك 4: 6) فالرب يعتني بك أثناء نومك لأنك لا تقدر أن تعتني بنفسك لا في يقظتك ولا في نومك! «هكذا ملكوت الله: كأن إنساناً يلقي البذار على الأرض، وينام ويقوم ليلاً ونهاراً، والبذار يطلع وينمو، وهو لا يعلم كيف» (مر 4: 26، 27)، لأن الرب وحده يعطي الثمر، ويمنح البركة ويهب السلام والاطمئنان للذين يحبونه.

وليس معنى هذا أن نكون كسالى، بل معناه أن نفرِّق بين الطموح والطمع. اجتهد بدون إجهاد، واهتم بدون أن تعول الهم، وأطِع قول المسيح: «لا تهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون، ولا لأجسادكم بما تلبسون. أليست الحياة أفضل من الطعام، والجسد أفضل من اللباس؟ انظروا إلى طيور السماء.. أبوكم السماوي يقوتها.. تأملوا زنابق الحقل كيف تنمو، لا تتعب ولا تغزل.. فلا تهتموا للغد، لأن الغد يهتم بما لنفسه. يكفي اليومَ شرُّه» (مت 6: 25–34). «فإنه متى كان لأحدٍ كثير، فليست حياته من أمواله» (لو 12: 15).. فلا داعي للقلق، بل لنؤمن ولنثق مطيعين الوصية الرسولية: «ملقين كل همكم عليه، لأنه هو يعتني بكم» (1بط 5: 7) فنتمتع بسلام الله الذي يفوق كل عقل، الذي يحفظ قلوبنا وأفكارنا وعائلاتنا في المسيح يسوع (في 4: 7).

ثانياً – الأبناء في البيت
(آيات 3 - 5)

يمتد البيت بزيادة عدد أفراده. وكثيراً ما يقولون: «تنتهي راحة العروسين بمجيء الطفل الأول، فصرخته الأولى تتبعها باقي صرخاته ليلاً ونهاراً». ولكن المرنم يرى خلاف هذا، بل يرى في البنين أربع بركات:

1 – البنون ميراث: «هوذا البنون ميراثٌ من عند الرب» (آية 3أ). يرى المرنم أن أولاده ملكٌ للرب، وقد وهبهم له، وعهد بهم إليه ليفرح بهم كعطية منه، لأن منه وبه وله كل الأشياء، وكل شيء به كان، وبغيره لم يكن شيء مما كان.. عندما التقى عيسو بأخيه يعقوب

بعد عودته من بيت خالهما لابان أبصر النساء والأولاد، فسأل يعقوب: «ما هؤلاء منك؟». فقال يعقوب: «الأولاد الذين أنعم الله بهم على عبدك» (تك 33: 5).

والرب أعطى المرنم أبناء ليفرح بهم ويربيهم لحساب الرب، حتى يجيء دورهم ليربوا أولادهم: «لأن المقدّس والمقدَّسين جميعهم من واحد.. أُخبر باسمك إخوتي وفي وسط الكنيسة أسبِّحك. وأيضاً: أنا أكون متوكلاً عليه. وأيضاً: ها أنا والأولاد الذين أعطانيهم الله» (عب 2: 11-13).

2 – البنون أجرة: «ثمرة البطن أجرة» (آية 3ب). الرب يعطي الأولاد كأجرة أو مكافأة لوالديهم الأتقياء. لم يرَ المرنم أولاده نتاجاً بيولوجياً، ولا غلطة غير مقصودة، بل رأى فيهم أجراً سماوياً وبركة من عند الرب. «قال الرب لأبرام اذهب من أرضك ومن عشيرتك.. إلى الأرض التي أريك. فأجعلك أمة عظيمة وأباركك وأعظِّم اسمك.. فذهب أبرام كما قال له الرب.. صار كلام الرب إلى أبرام في الرؤيا قائلاً: لا تخف يا أبرام، أنا ترس لك. أجرك كثير جداً.. الذي يخرج من أحشائك هو يرثك» (تك 12: 1، 2، 4 و15: 1-4) أطاع إبراهيم الله وآمن فحُسب إيمانه له براً، وأعطاه الله ابناً في شيخوخته.

3 – البنون سهام: «كسهامٍ بيد جبار هكذا أبناء الشبيبة» (آية 4). يُستخدَم السهم للدفاع عن النفس والعرض والأرض. وأبناء الشبيبة هم الذين وهبهم الله لآباءٍ في عمر الشباب، ميراثاً وأجرة منه، ليدافعوا عن البيت وليصدّوا هجوم العدو. ويُعتبَر الوالدون «جبابرة» كما دعا الله جدعون «جبار بأس» (قض 6: 12) لا لأنه كان جباراً، بل لأنه سيجعل منه جباراً، لأن فضل القوة هو لله لا لجدعون. ونحن مثل جدعون نخاف مما لم نقُم به من قبل، ونرتعب من المجهول. هل سمعت صراخ طفل يذهب إلى المدرسة لأول مرة؟ هل راقبت خوف موظف يتقلَّد مسؤوليات وظيفته لأول مرة؟ هل لاحظت أباً وأماً يتلقيان طفلهما الأول بفرح وبخوف وهما يتساءلان إن كانا سيكونان أبوين صالحين ينجحان في تربيته! ولكن الله يشجعنا بأن أبناء الشبيبة يشبهون السهام بيد جبار! وفي هذه الآية نرى مسؤولية الأبوين، ومسؤولية الأبناء:

(أ) **مسؤولية الأبوين**: على الجبار أن يتعلم بتواضع ويتدرَّب جيداً قبل أن يرمي سهمه، لأن السهم الذي ينطلق لا يعود، بل يستقل عن يد وإرادة من أطلقه. ما دام السهم في يدك تقدر أن تؤثر فيه وتوجِّهه، ولكن تأثيرك عليه ينتهي بإطلاقه من يدك.. فلنكُن قدوة صالحة لأولادنا، ولنكن معلمين صالحين لهم ما داموا معنا، وسيبقى معهم ما نزرعه فيهم، كما قال الحكيم: «ربِّ الولد في طريقه، فمتى شاخ أيضاً لا يحيد عنه» (أم 22: 6). لا تؤدِّب ابنك وأنت غاضب، بل اضبط نفسك ولا ترتعب وأنت توجِّه السهم. اعتمِد على النعمة التي تسندك. إن كانت حياتك نموذجاً صالحاً، وإن كنت ترفع الصلاة من أجلهم، وبعد هذا تقدم لهم النصيحة ستكون نِعمَ الأب الناجح. لكن لا تنس أبداً أن قدوتك يجب أن تأتي أولاً، وأن صلاتك أقوى تأثيراً من نصائحك!

والجبار الحكيم يحسب حساب سرعة الرياح التي ستواجه السهم المنطلق، فيدرك أن هناك خطايا تحيط بنا وبأولادنا بسهولة (عب 12: 1) ونعمة الله وحدها هي التي تحمينا وتحمي أولادنا منها. لا تنسَ أن أولادك هم عطية الله لك، وأنك مهما كنت «جبار بأس» في عقلك ويدك وثروتك، فإن الرب هو العامل فيك. أنت وأولادك كعصا موسى، لا تشقّون بحراً ولا تصنعون معجزة إلا إذا صرتُم «عصا الله» (خر 4: 20). فلتكن «إنسان الله» (2تي 3: 17) لتصبح جباراً حكيماً تطلق سهاماً تصيب الهدف.

(ب) **مسؤولية الأبناء**: السهم صغير الحجم لكنه عظيم التأثير، فلا يستهِن أي ولد بقيمته في نظر الله ونظر والديه، فقد قال الله لإرميا: «لا تقُل إني ولد، لأنك إلى كل من أرسلك إليه تذهب وتتكلم بكل ما آمرك به» (إر 1: 7). وهكذا كل مؤمن، هو في حد ذاته مجرد خمس خبزات وسمكتين، ليس شيئاً، ولكنه في يد المسيح يصبح بركة (يو 6: 9).

والسهم يجب أن يكون مستقيماً، وعلى المؤمن أن يحترس من انحناء جبهته إلا لله ولطاعته ومخافته. «فوق كل تحفُّظ احفظ قلبك لأن منه مخارج الحياة.. باعِد رِجلك عن الشر.. يا ابني أعطني قلبك ولتلاحظ عيناك طرقي» (أم 4: 23، 27 و23: 26).

والسهم مصنوع بيد حرفي ماهر هو الرب «الرب هو الله. هو صنعنا، وله نحن شعبُه» (مز 100: 3). وقد أوكل الله للوالدين والمعلِّمين والمرشدين الروحيين أمر مساعدة السهم على الانطلاق. وعلى كل ابنٍ كالسهم أن يذكر فضل الله عليه وفضل والديه ومعلميه ومرشديه الروحيين.

والسهم يجب أن يندفع إلى بعيد. فلتكن لنا الرؤى الروحية عندما ينسكب الروح القدس علينا لنحقق الخطة التي رسمها الله لنا (يوء 2: 28).

والسهم يجب أن يصيب الهدف «لأننا نحن عمله، مخلوقين في المسيح يسوع لأعمال صالحة، قد سبق الله فأعدَّها لكي نسلك فيها» (أف 2: 10).

4 – البنون خط دفاع: «طوبى للذي ملأ جعبته منهم لا يخزون، بل يكلمون الأعداء في الباب» (آية 5). يطوِّب المرنم رب البيت الذي ربَّى أولاده مثل السهام، لأنهم لا يخزون بل يدافعون عن والديهم وعائلتهم أمام الشيوخ والقادة من أصدقاء وأعداء. فطوبى للأب الذي ملأ جعبته منهم.. والجُعبة هي الجراب الذي يحفظون فيه السهام. وواضح أن الجعبات ليست متساوية الحجم، فهناك عائلة كبيرة وأخرى صغيرة. فلا تقارن عائلتك بعائلة غيرك، ولا تقارن بين أولادك وبعضهم. وطوبى لمن منحه الله سهاماً تُفرح قلبه مستقبلاً وهي تنطلق من يده الجبارة، بنعمة من الله. فلينظر الآباء لأولادهم بفخر. إن أسرعت بتوجيه اللوم لولدك لتعدِّل مساره، فطوبى لك إن أسرعت أيضاً بتوجيه المدح الذي يستحقه عندما يصيب.

احترق بيت القس وسلي (والد القس جون مؤسس مذهب الميثودست والمرنم تشارلس) وكان له ثمانية أولاد. ولما ناولوه الطفل الثامن من النافذة قال لجيرانه: «شكراً لكم.. الآن تعالوا نركع ونشكر الله، فقد أرجع لي أطفالي الثمانية. فليذهب البيت للحريق! أنا لا زلت غنياً».. هذا أب عرف قيمة أولاده.

هؤلاء الأبناء «لا يخزون، بل يكلمون الأعداء في الباب». كانت المدن القديمة مسوَّرة، ذات أبواب ضخمة، وأمام الباب الرئيسي للمدينة ساحة يجلس فيها شيوخ المدينة للفصل في المنازعات. فإذا وجَّه عدوٌّ شكوى على الآب، يجيء الأبناء الصالحون إلى هذه الساحة ليدافعوا عن والدهم بالكلام، أو بالسلاح. وما أكثر المعارك الكلامية، كما هاجم جليات بني إسرائيل ثمانين مرة في خلال أربعين يوماً، ولعن داود بآلهته (1صم 17: 10، 43). والأبناء الصالحون لا يخجلون من والديهم لكنهم يدافعون عنهم كما دافع داود عن شعبه.

هذه هي الأسرة السعيدة التي أسعد الله بها رب البيت. فلنذكر عائلاتنا بالشكر لله، ولنصلِّ لتنطبق هذه الأوصاف على عائلاتنا اليوم.

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالثَّامِنُ وَالْعِشْرُونَ

تَرْنِيمَةُ الْمَصَاعِد

1طُوبَى لِكُلِّ مَنْ يَتَّقِي الرَّبَّ وَيَسْلُكُ فِي طُرُقِهِ 2لأَنَّكَ تَأْكُلُ تَعَبَ يَدَيْكَ. طُوبَاكَ وَخَيْرٌ لَكَ. 3امْرَأَتُكَ مِثْلُ كَرْمَةٍ مُثْمِرَةٍ فِي جَوَانِبِ بَيْتِكَ. بَنُوكَ مِثْلُ غُرُوسِ الزَّيْتُونِ حَوْلَ مَائِدَتِكَ. 4هَكَذَا يُبَارَكُ الرَّجُلُ الْمُتَّقِي الرَّبَّ. 5يُبَارِكُكَ الرَّبُّ مِنْ صِهْيَوْنَ، وَتُبْصِرُ خَيْرَ أُورُشَلِيمَ كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ، 6وَتَرَى بَنِي بَنِيكَ. سَلاَمٌ عَلَى إِسْرَائِيلَ.

العائلة تتعبَّد - 2

صعدت العائلة كلها بصُحبة غيرها من العائلات ليحتفلوا بالعيد وهم يرنمون «مزموري الأسرة» 127 و128 شكراً لله على فضله، وهم يعدِّدون بركات الرب وإحساناته ويذكرون مسؤولياتهم العائلية. لقد اختبروا بركات الرب للأسرة التقية من سعادة وخير يتبعانها كل أيام حياتها على الأرض، وإلى حياتها الأبدية، ففرح قلب رب الأسرة المتقي الرب بالزوجة الفاضلة والأبناء الذين انطلقوا كسهام واستقروا كغروس نامية. ويُسمِّي مارتن لوثر هذا المزمور «مزمور الزواج» لأنه دليل كل عروسين لحياة عائلية سعيدة.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – سعادة المؤمن التقي (آيتا 1، 2)

ثانياً – عائلة المؤمن التقي (آيات 3–6أ)

ثالثاً – مجتمع المؤمن التقي (آية 6ب)

أولاً - سعادة المؤمن التقي
(آيتا 1، 2)

يبدأ المزمور بتطويب الإنسان التقي، وجاءت كلمة «طوبى» هنا بصيغة الجمع، فكأن المرنم يقول: ما أسعد! ما أسعد! ما أسعد التقي! ومع أن كل إنسان يواجه في الحياة الحلو والمر، إلا أن هناك من لا يرون فيها إلا ما يشقيهم ويقولون: «الإنسان مولود المرأة قليل الأيام وشبعان تعباً» (أي 14: 1). ولكن شكراً لله لأن هناك من يرون فيها سعادة مضاعفة فيطوِّبون أنفسهم، كما يقول المرنم في مزمورنا، فكل من يتقي الرب سعيد لأنه قد صار ابناً لله الحي ووارثاً للمجد الأبدي في المسيح.

1 – سعادة التقوى: «طوبى لكل من يتَّقي الرب» (آية 1أ). التقي هو الذي يخاف الله كما يقول أيوب: «مخافة الرب هي الحكمة، والحيدان عن الشر هو الفهم» (أي 28: 28)، وكما يقول المرنم: «رأس الحكمة مخافة الرب» (مز 111: 10)، وكما يقول الحكيم: «مخافة الرب رأس المعرفة. أما الجاهلون فيحتقرون الحكمة والأدب» (أم 1: 7). وليس خوف التقي من الله خوف الرعب، ولا خوف النفاق والرياء، لأن المحبة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج (1يو 4: 18)، لكنه خوف المحب الذي يخشى أن يؤذي مشاعر من يحبه، فيقول: «أن أفعل مشيئتك يا إلهي سُررت» (مز 40: 8). نحن نحب آباءنا الجسديين ونهابهم ونحترمهم، ونمدحهم ونكرمهم طاعة للوصية الإلهية، ولا نحتمل أن يسيء أحدٌ إليهم، ونجتهد أن نُفرح قلوبهم. وهكذا الأمر مع الله، فنحن نحبه لأنه هو أحبنا أولاً (1يو 4: 19)، ونطيعه لأنه يباركنا، ونكرمه لأنه يستحق إكرامنا، ونمجده ونسبحه ونقدم له ثمر شفاهٍ معترفة باسمه (عب 13: 15)، ونطلب وجهه فتكون لنا حياة، لأن حياةً في رضاه (مز 30: 5).

2 – سعادة الطاعة: «طوبى لكل من.. يسلك في طرقه» (آية 1ب). تبدأ السعادة بالتوبة والولادة الثانية، ثم تكبر وتستمر وتنمو بسلوك الطاعة لله والتقدم في طرقه. والسلوك هو السير المتواصل إلى الأمام بدون كلل، حتى لو كان في الطريق صعاب وآلام، فقد قال المسيح: «إن أراد أحد أن يأتي ورائي فلينكر نفسه ويحمل صليبه ويتبعني، فإن من أراد أن يخلِّص نفسه يهلكها، ومن يهلك نفسه من أجلي يجدها. لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟» (مت 16: 24–26). ويقول الله: «طوبى للذين يحفظون طرقي» (أم 8: 32). وقد أطلق القدماء على المسيحية اسم «الطريق» (أع 9: 2) لأنها أسلوب فكر وحياة يختلف عما عداه، فهو أسلوب وفكر وحياة المسيح الذي قال: «أنا هو الطريق» (يو 14: 6). هو الطريق الرئيسي الذي تتفرع منه وتلتقي فيه كل طرق الخير والرحمة

والمحبة فيكون فينا فكره الخيِّر المضحي (في 2: 5) من نحو الله، ونفوسنا، وعائلاتنا، وجيراننا، وكنيستنا ومجتمعنا. «فليضىء نــوركم هكذا قدام الناس لكي يروا أعمالكم الحسنة ويمجدوا أباكم الذي في السماوات» (مت 5: 16).

قبل الحصول على السعادة كان للإنسان طريقه، لأنه «توجد طريق تظهر للإنسان مستقيمة، وعاقبتها طرق المــوت» (أم 14: 12). ولكن بعد التوبة وبداية التقوى الحقيقية يسير الإنسان في طرق الرب الذي «يهديني إلى سُبل البر من أجل اسمه» (مز 23: 3).

3 – سعادة العمل: «لأنك تأكل تعب يديك. طوباك وخير لك» (آية 2). يتمتع السعيد بتعب يديه فتشبع نفسه وقلبه. وكل تقي يجــب أن يعمل ليسدد احتياجاته واحتياجات أسرته، لأنه «بالكسل الكثير يهبط السقف، وبتدلّي اليدين يَكِفُ (يتســرَّب) البيــت» (جــا 10: 18) و«العامل بيد رخوة يفتقر، أما يد المجتهدين فتُغنَى» (أم 10: 4). وقال الرسول بولس: «أنتم تعلمون أن حاجاتي وحاجات الــذين معــي خدمتها هاتان اليدان» (أع 20: 34). وقال: «إن كان أحد لا يريد أن يشتغل فلا يأكل أيضاً» (2تس 3: 10).

يحترم التقي العمل الذي يقوم به لأن التقوى تقدّسه. إنه «يتعب عاملاً الصالح بيديه ليكون له أن يعطي من له احتياج» (أف 4: 28). ولا يوجد عمل مخجل أو غير مقدس إلا الخطية، فعمل الزوجة والأم من أجل زوجها وأطفالها مقدس قداسة عمل رجل الدين وهو يؤدي واجباته الدينية. وتحوّل التقوى العمل الشاق إلى بركة، فيتحقق القول: «بركة الرب هي تُغني، ولا يزيد (الرب) معهــا تعبــاً» (أم 10: 22).

ولكن من المؤسف أن هناك من يتعب ولا يتمتع بتعب يديه لأنه مريض، فلا يأكل ما يتعب في الحصول عليه! وأحياناً يتعب الإنسان ولا يحصد لأن عدواً ينهب ما تعب فيه. ولكن طوبى للسالك في طريق الرب، لأنه يزرع ويحصد ما زرعه، ويتعب ويأكل تعب يديــه، ويتحقق معه القول الإلهي: «يبنون بيوتاً ويسكنون فيها، ويغرسون كروماً ويأكلون أثمارها. لا يبنون وآخر يسكن، ولا يغرسون وآخــر يأكل، لأنه كأيامِ شجرةٍ أيامُ شعبي، ويستعمل مختاريَّ عمل أيديهم. لا يتعبون باطلاً ولا يلدون للرعب، لأنهــم نســل مبــاركي الــرب، وذرِّيتهم معهم» (إش 65: 21–23).

قال الحكيم: «هوذا الذي رأيته أنا خيراً، الذي هو حسنٌ: أن يأكل الإنسان ويشرب ويرى خيراً من كل تعبه الذي يتعب فيــه تحــت الشمس مدة أيام حياته التي أعطاها الله إياها، لأنه نصيبه. أيضاً كل إنسان أعطاه الله غِنى ومالاً وسلطة عليه حتى يأكــل منــه ويأخــذ نصيبه ويفرح بتعبه. فهذا هو عطية الله» (جا 5: 18، 19).

ثانياً ـ عائلة المؤمن التقي
(آيات 3-6أ)

الرجل رأس البيت، وكل تقي يخاف الله ويحب أسرته من قلب طاهر، يبارك الرب زوجته وأولاده وأحفاده. وفي الجزء الثاني مــن مزمورنا يتحدث المرنم عن الزوجة الفاضلة، والأولاد المباركين، والزوج الصالح. «طوبى للرجل المتَّقي الرب، المسرور جداً بوصاياه. نسله يكون قوياً في الأرض. جيل المستقيمين يُبَارَك. رَغْدٌ وغِنى في بيته، وبرُّه قائمٌ إلى الأبد» (مز 112: 1–3).

1 – الزوجة كرمة مثمرة: «امرأتك مثل كرمة مثمرة في جوانب بيتك» (آية 3أ). كان للبيت فناء واسع، حوله الغرف. وفي ذلــك الفناء غير المسقوف كانوا يزرعون كرمة، ترتفع لتغطي الحوائط باللون الأخضر الجميل المتجدد، وتظلل البيت من الحــرارة الشــديد، وتمدُّه بالعنب الطازج، وبالزبيب. والزوجة الصالحة مثل الكرمة. إنه «امرأة فاضلة، من يجدها؟ لأن ثمنها يفوق اللآلئ» (أم 31: 10).

(أ) تجمِّل البيت: الزوجة الصالحة كرمة تجمِّل البيت بحضورها، فهي تاج لزوجها، قال الحكيم فيها: «تفتح فمهــا بالحكمــة، وفي لسانها سُنّة المعروف. تراقب طرق أهل بيتها ولا تأكل خبز الكسل. يقوم أولادها ويطوِّبونها، زوجها أيضاً فيمدحها» ثم يقول لهــا بإعزاز: «بناتٌ كثيرات عملن فضلاً، أما أنت ففقتِ عليهنَّ جميعاً.. الحسن غش والجمال باطل، أما المرأة المتقية الرب فهي تُمدَح» (أم 31: 26–30).

(ب) تظلِّل على البيت: والزوجة الصالحة مثل الكرمة التي تظلل على زوجها وأولاده «بها يثق قلب زوجها فلا يحتاج إلى غنيمة. تصنع له خيراً لا شراً كل أيام حياتها» (أم 31: 11، 12).

(ج) تثمر في البيت: الزوجة الصالحة مثل الكرمة التي تعطي ثمراً يفرح، يأكلونه عنباً أو زبيباً مجففاً. ويظهر ثمرهــا فــي المحبة واللطف والتواضع وطول الأناة. وهي تثمر ذرية تُحسِن تنشئتها بالقدوة الصالحة والتقوى فيثمرون أيضاً، وحينئذ تقول: «ها أنــا والأولاد الذين أعطانيهم الله» (عب 2: 13). وهي تثمر أعمالاً صالحة لأسرتها «تطلب صوفاً وكتاناً وتشتغل بيدين راضيتين.. وتقوم إذ

الليل بعد وتعطي أكلاً لأهل بيتها وفريضةً لفتياتها (عملاً لخادماتها).. تمدُّ يديها إلى المِغزل، وتمسك كفاها بالفَلْكــة» (أم 31: 13، 15، 19).

2 – الأبناء غروس زيتون: «بنوك مثل غروس (شتلة) الزيتون حول مائدتك» (آية 3ب). والزيتونة دائمة الخضرة ونافعة جداً، قال الرب لشعبه: «دعا الرب اسمك: زيتونة خضراء ذات ثمر جميل الصورة» (إر 11: 16). فيقول كلٌّ منهم: «أما أنا فمثل زيتونة خضراء في بيت الله. توكلتُ على رحمة الله إلى الدهر والأبد» (مز 52: 8).

(أ) غروس حيَّة: لغروس الزيتون حياة في ذاتها، تبدأ بزرعها، وتزيد بنموِّها. ويفرح الآباء وهم يرون نمو أبنائهم سنة بعد أخرى، فيرقبون هذا النموَّ العقلي والروحي والبدني بفخر وسعادة. وتملأ حيوية الصغار ونشاطهم وحركتهم جوانب البيت بالسعادة ورنّات الضحك.

(ب) غروس واعدة: وغروس الزيتون واعدة بالمحصول الوفير. في بدئها لا تثمر، لكن الثمر آتٍ لا ريب فيه. ويتطلع الأبوان لنضوج أولادهما واستقلالهم ببيوت يعمرونها بالأحفاد الذين يصبحون مصدر بهجة لوالديهم وللجدود «بنون يولدون فيقومون ويخبرون أبناءهم، فيجعلون على الله اعتمادهم، ولا ينسون أعمال الله، بل يحفظون وصاياه» (مز 78: 6، 7) يُقال عنهم: «غرستَهم فأصَّلوا نمواً وأثمروا ثمراً» (إر 12: 2). حقاً «تاج الشيوخ بنو البنين، وفخر البنين آباؤهم» (أم 17: 6).

(ج) غروس تحتاج إلى عناية: الغروس تحتاج إلى عناية لتثبت وتتأصل وتعلو وتثمر. تحتاج لماء يرويها وسياج يحميها من الثعالب واللصوص. وإن تباطأ ثمرها يُنقَب حولها ويوضع زبل. وكم يحتاج أولادنا إلى كلمة تشجيع متى كانوا يستحقونها، فلا يكتفي الآباء بتقريعهم حين يخطئون. وليذكر الآباء أنهم كانوا صغاراً فشجعهم آباؤهم. والله الآب السماوي هو النموذج للآباء جميعاً في المحبة والتشجيع والغفران.

(د) غروس مختلفة: يختلف كل غرس زيتون عن غيره، ولكل واحد من الأولاد شخصيته المستقلة ومواهبه المتميزة. ويجب ألا نقارن الأبناء بإخوتهم ولا بغيرهم من أبناء الآخرين، خصوصاً في مرحلة المراهقة، لأنهم لم يعودوا صغاراً، ولكنهم لم ينضجوا بعد، ومع ذلك تكبر انتظاراتنا منهم، وتكبر انتظاراتهم من أنفسهم. وعندما لا يستطيعون أن يحققوا كل هذه الانتظارات يصيبهم الإحباط ويرتكبون حماقات لا يرغبون في ارتكابها. وقتها يكونون في حاجة لأن نستمع لهم ونحنو عليهم ونصلي من أجلهم ونقدم لهم القدوة والنصيحة، أكثر من التوبيخ واللوم. يجب ألا نعتبر المراهق عدواً لنا، فهو غرس زيتون ينمو ويعطي ثمراً في موعده، فليستمع الآباء للنصيحة: «أيها الآباء لا تغيظوا أولادكم، بل ربّوهم بتأديب الرب وإنذاره» (أف 6: 4).

(هـ) غروس حول المائدة: وهم غروس زيتون حول المائدة، حيث الشكر والحديث المبهج. فليتنا نفعل ما فعله النبي صموئيل عندما زار بيت يسَّى البيتلحمي، ورفض أن يجلس للطعام حتى يجيء داود الصغير ليشاركهم فيه، فتكتمل بهجة الكبار بوجوده (1صم 16: 11).. ما أسعد البيت الذي يجلس فيه الجميع حول ما أعطاهم الله من طعام، يشكرون ويتمتعون بصُحبة بعضهم البعض، ويحققون القول الحكيم: «لقمة يابسة ومعها سلامة خير من بيت ملآن ذبائح مع خصام» (أم 17: 1).

3 – الزوج تقي:

(أ) زوج مبارك: «هكذا يُبَارَك الرجل المتَّقي الرب. يباركك الرب من صهيون» (آية 4، 5أ). التقوى هي مخافة الله. وكل من يخاف الله مباركٌ في كل ما يعمله، ويسمع البركة الكهنوتية: «يباركك الرب ويحرسك. يضيء الرب بوجهه عليك ويرحمك. يرفع الرب وجهه عليك ويمنحك سلاماً» (عد 6: 24–26). ويُنعِم الله على الزوج المبارك بهذا كله لأنه يُسرُّ بأن يكرمه.

ويقول المرنم إن بركة الرب تجيء من صهيون، حيث هيكل الله وتابوت عهده. والبركة تجيئنا عندما نتعبَّد بالروح والحق في بيت الله.. والاسم «صهيون» قد يعني «يصون» أو «يحمي». وقد يعني «صهوة» بمعنى قمة جبل أو قلعة. وجبل صهيون، أي جبل الحصن، جبلٌ عالٍ ثابت، ليس من السهل أن يغزوه عدو، كان في يد اليبوسيين حتى استولى عليه داود عام 1003 ق م، وأطلق عليه اسم «مدينة داود» (2صم 5: 7) ونقل إليها تابوت العهد (2صم 6: 12). ثم وسَّع سليمان مدينة أورشليم شمالاً حتى شملت جبل المُريّا الذي بنى عليه الهيكل عام 958 ق م (2أخ 1: 3)، وبعدها أُطلق اسم «صهيون» على كل مدينة أورشليم بما فيها الحصن وجبل المريا.

(ب) زوج مستقر: «وتبصر خير أورشليم كل أيام حياتك» (آية 5ب). ننال الحياة المستقرة لما نعيش في بلاد مستقرة نبصر خيرها كل أيام حياتنا. لهذا «تُقام طلبات وصلوات وابتهالات وتشكُّرات لأجل جميع الناس، لأجل الملوك وجميع الذين هم في مَنصِب،

لكي نقضي حياةً هادئة في كل تقوى ووقار، لأن هذا حسنٌ ومقبول لدى مخلِّصنا الله، الذي يريد أن جميع الناس يخلُصون وإلى معرفة الحق يُقبِلون» (1تي 2: 1-4).

والقول: «تبصر خير أورشليم» أُمنية روحية وسياسية معاً، فقد كانت أورشليم عاصمة بني إسرائيل الدينية والسياسية، وكل مواطن مُخْلِص يطلب خير عاصمة بلاده دينياً وسياسياً. وعندما نعيش بالتقوى نطلب الخير الروحي والاقتصادي والسياسي لبلادنا، وهو يجيء من تقوى أفراد المجتمع، مبتدأً من محبي الرب لأن «البر يرفع شأن الأمة وعار الشعوب الخطية» (أم 14: 34).

والمؤمن التقي وعائلته المتعبِّدة يسبِّبون صلاح المجتمع كله، فلتكن عائلة المؤمن مثل البذور المنتقاة في أرض جيدة «لكي يكون بنونا مثل الغروس النامية في شبيبتها. بناتنا كأعمدة الزوايا منحوتاتٍ حسب بناء هيكل. أهراؤنا ملآنةٌ تفيض من صِنف فصِنف.. لا اقتحام ولا هجوم ولا شكوى في شوارعنا. طوبى للشعب الذي له هكذا. طوبى للشعب الذي الرب إلهه» (مز 144: 12-15).

(ج) **زوج معمِّر**: «وترى بني بنيك» (آية 6أ). وهذا يعني الصحة وطول العمر والفرح بالأحفاد كما بارك الرب أيوب وزاد على كل ما كان له ضِعفاً، وعاش بعد أن شُفي من مرضه مئةً وأربعين سنة، ورأى بنيه وبني بنيه إلى أربعة أجيال «لأنه.. رجل كامل ومستقيم يتقي الله ويحيد عن الشر» (أي 2: 3 و42: 10-17).

ثالثاً ـ مجتمع المؤمن التقي
(آية 6ب)

«سلام على إسرائيل» (آية 6ب). بهذه الكلمات يختم المرنم مزموره كما ختم مزمور 125. فمن هم المقصودون بالحصول على السلام؟ يقول الوحي: «لأن ليس جميع الذين من إسرائيل هم إسرائيليون، ولا لأنهم من نسل إبراهيم هم جميعاً أولاد.. ليس أولاد الجسد هم أولاد الله، بل أولاد الموعد يُحسَبون نسلاً» (رو 9: 6-8).. وهذا يعني أن هناك «إسرائيل» المولود من نسل إبراهيم، لكنه لا يؤمن إيمان إبراهيم، فهو إسرائيل الجسدي. وهناك «إسرائيل الله» وهم كل الذين يؤمنون إيمان إبراهيم من كل قبيلة وشعب.. إسرائيل الجسدي لا ينال البركة لأنه رفض المسيح الذي «إلى خاصته جاء، وخاصته لم تقبله. أما كل الذين قبلوه فأعطاهم سلطاناً أن يصيروا أولاد الله، أي المؤمنون باسمه» (يو 1: 11، 12). «إسرائيل الله» هم الخليقة الجديدة الذين قبلوا المسيح، ويحملون في أجسادهم علامة المسيح، وهم الذين صلبوا الجسد مع الأهواء والشهوات. ويقول الوحي: «لأنه في المسيح يسوع ليس الختان ينفع شيئاً ولا الغرلة، بل الخليقة الجديدة. فكل الذين يسلكون بحسب هذا القانون عليهم سلام ورحمة، وعلى إسرائيل الله» (غل 6: 12-16). سلام على إسرائيل الروحي، وهم كل من يؤمنون إيمان خليل الله إبراهيم، ويتبعون الرب بعزم القلب.

لنطلب من الله أن يسود السلام من رب السلام. سلام على كل تقي. سلام على بيوتنا. سلام على مجتمعنا وبلادنا كما وعدنا المسيح: «سلاماً أترك لكم. سلامي أعطيكم. ليس كما يعطي العالم أعطيكم أنا» (يو 14: 27).

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالتَّاسِعُ وَالْعِشْرُونَ

تَرْنِيمَةُ الْمَصَاعِدِ

1 «كَثِيراً مَا ضَايَقُونِي مُنْذُ شَبَابِي». لِيَقُلْ إِسْرَائِيلُ: 2«كَثِيراً مَا ضَايَقُونِي مُنْذُ شَبَابِي، لَكِنْ لَمْ يَقْدِرُوا عَلَيَّ.
3عَلَى ظَهْرِي حَرَثَ الْحُرَّاثُ. طَوَّلُوا أَتْلاَمَهُمْ». 4الرَّبُّ صِدِّيقٌ. قَطَعَ رُبُطَ الأَشْرَارِ. 5فَلْيَخْزَ وَلْيَرْتَدَّ إِلَى الْوَرَاءِ كُلُّ
مُبْغِضِي صِهْيَوْنَ. 6لِيَكُونُوا كَعُشْبِ السُّطُوحِ الَّذِي يَيْبَسُ قَبْلَ أَنْ يُقْلَعَ، 7الَّذِي لاَ يَمْلأُ الْحَاصِدُ كَفَّهُ مِنْهُ، وَلاَ الْمُحَزِّمُ
حِضْنَهُ. 8وَلاَ يَقُولُ الْعَابِرُونَ: «بَرَكَةُ الرَّبِّ عَلَيْكُمْ. بَارَكْنَاكُمْ بِاسْمِ الرَّبِّ».

«منذ شبابي!»

تذكر الأمم ماضيها عادةً لتفتخر به وبما حققته فيه من انتصارات وإنجازات، فالمصريون مثلاً يفتخرون بالأهرام والآثار العظيمة التي عاشت أكثر من خمسة آلاف سنة، ولا تزال قائمة في مهابة وجلال. وفي مزمورنا يذكر المرنم ماضيه وماضي أمته، لا للفخر الشخصي، بل ليذكر النعمة والمعونة السماوية التي حفظته حياً، وقد امتلأ بنعمة التواضع، كما قيل: «بهذا ليفتخرنَّ المفتخر: بأنه يفهم ويعرفني أني أنا الرب الصانعُ رحمةً وقضاءً وعدلاً في الأرض» (إر 9: 24) وكما قال الرسول بولس: «حاشا لي أن أفتخر إلا بصليب ربنا يسوع المسيح، الذي به قد صُلب العالم لي وأنا للعالم» (غل 6: 14).

ونتيجةً للتأمل في الماضي نال المرنم شجاعة واجه بها متاعب الحاضر، فرفع صوته يشكر الله ويمجده، ودعا كل الشعب ليرتلوا معه (كما فعل في مزمور 124). ويعطي هذا المزمور كل مؤمن دافعاً للصبر على الضيقات والشدائد، بل وأكثر من هذا، فإننا «نفتخر أيضاً في الضيقات، عالمين أن الضيق ينشئ صبراً، والصبر تزكيةً، والتزكية رجاءً، والرجاء لا يُخزي» (رو 5: 3-5). وتعلمنا الضيقات أننا بدون الرب لا نقدر أن نعمل شيئاً، ولكننا نستطيع كل شيء في المسيح الذي يقوينا. فليقُل الضعيف: بطلٌ أنا بالرب.

في هذا المزمور نجد:

أولاً – متاعب الأتقياء مؤقَّتة (آيات 1-4)

ثانياً – مصير الأشرار محتوم (آيات 5-8)

أولاً – متاعب الأتقياء مؤقَّتة
(آيات 1-4)

1 – متاعب كثيرة: (آيتا 1، 2).

(أ) كثرة المتاعب: «كثيراً ما ضايقوني منذ شبابي.. كثيراً ما ضايقوني منذ شبابي». (آيتا 1، 2أ). يكرر المرنم أن متاعب الأتقياء وآلامهم كثيرة في العالم الحاضر، لأنه وُضع في الشرير (1يو 5: 19). وقد قال المسيح: «في العالم سيكون لكم ضيق، ولكن ثقوا أنا قد غلبت العالم» (يو 16: 33) . يتذكر المرنم ضيقات مرَّت به وبشعبه منذ شبابهم، فقال الله: «لما كان إسرائيل غلاماً أحببتُه، ومن مصر دعوتُ ابني» (هو 11: 1). ويبدأ شباب بني إسرائيل بحادثة الخروج عندما قال الله: «إني قد رأيت مذلة شعبي الذي في مصر وسمعت صراخهم من أجل مسخِّريهم. إني علمت أوجاعهم. فنزلتُ لأنقذَهم من أيدي المصريين» (خر 3: 7، 8). لقد ساموهم سوء العذاب «فضُرِب مدبرو بني إسرائيل الذين أقامهم عليهم مسخِّرو فرعون، وقيل لهم: لماذا لم تكملوا فريضتكم من صُنع اللَّبْن أمس واليوم، كالأمسِ وأولَ من أمس؟» (خر 5: 14). فقال الرب لموسى: «لذلك قل لبني إسرائيل: أنا الرب. وأنا أُخرجكم من تحت أثقال المصريين وأنقذكم من عبوديتهم، وأخلِّصكم بذراعٍ ممدودة وبأحكام عظيمة، وأتَّخذكم لي شعباً وأكون لكم إلهاً، فتعلمون أني أنا الرب إلهكم الذي يُخرجكم من تحت أثقال المصريين، وأُدخلكم إلى الأرض التي رفعتُ يدي أن أعطيها لإبراهيم وإسحاق ويعقوب، وأعطيكم إياها ميراثاً. أنا الرب. فكلم موسى بني إسرائيل هكذا، ولكن لم يسمعوا لموسى من صِغر النفس ومن العبودية القاسية» (خر 6: 6-9).

لقد قاسى بنو إسرائيل من صغر أنفسهم بداخلهم، كما قاسوا من المسخرين من خارجهم، حتى صارت المعاناة خبزهم اليومي، وهي كمعاناة صاحب مزمور 13 الذي شكا إلى الله من الله، ثم شكا إلى الله من نفسه، وأخيراً شكا من أعدائه.

(ب) **خلاص الله**: «لكن لم يقدروا عليَّ» (آية 2ب). يواجه الأتقياء المتاعب الكثيرة، ولكن الرب ينصرهم عليها، فلا يقدر الأشرار عليهم. حقاً «كثيرة هي بلايا الصديق ومن جميعها ينجيه الرب.. إن إلى الأبد رحمتَه» (مز 34: 19 و118: 2). ولسان الحال هو القول الرسولي: «كما هو مكتوب: إننا من أجلك نُمات كل النهار. قد حُسبنا مثل غنمٍ للذبح. ولكن في هذه جميعها يعظم انتصارنا بالذي أحبنا» (مز 44: 22 ورو 8: 36، 37).

تكشف الصعوبات للإنسان ضعفه وعجزه، وتُلجئه إلى صاحب القوة ليحتمي فيه، فالضيق يدفعنا لنحتمي بالله أكثر فنختبر صلاحه الأبوي «لأنه لا تستقرُّ عصا الأشرار على نصيب الصديقين لكيلا يمدَّ الصدّيقون أيديهم إلى الإثم» (مز 125: 3). وتدفعنا الضيقات دفعاً لطلب العناية الإلهية التي تفعل لنا ما نعجز نحن عن فعله لأنفسنا، فإن «لنا هذا الكنز في أوانٍ خزفية، ليكون فضل القوة لله لا منا. مكتئبين في كل شيء، لكن غير متضايقين. متحيِّرين، لكن غير يائسين. مضطهَدين، لكن غير متروكين. مطروحين لكن غير هالكين حاملين في الجسد كل حين إماتة الرب يسوع، لكي تظهر حياة يسوع أيضاً في جسدنا» (2كو 4: 7–10). قال داود لجليات: «أنت تأتي إليَّ بسيف وبرمح وبترس. وأنا آتي إليك باسم رب الجنود.. وتعلم هذه الجماعة كلها أنه ليس بسيف ولا برمح يخلِّص الرب، لأن الحرب للرب» (1صم 17: 45، 47). أُخذ القديس أغناطيوس أسقف أنطاكية إلى مدينة روما ليلقوه إلى الأسود الجائعة في زمن الاضطهاد عام 107م فقال: «أنا حنطة الله، ستطحنني أسنان الأسود لتجعل مني خبز الله النقي» لأنه كان يعلم أن دم الشهداء بذار الكنيسة التي اشتراها المسيح بدمه، وبالرغم من هذا الاضطهاد لن تقوى عليها كل قُوى الشر «كل آلة صُوِّرت ضدك لا تنجح، وكل لسان يقوم عليك في القضاء تحكمين عليه» (إش 54: 17).

2 – متاعب قاسية: (آيتا 3، 4).

(أ) **قسوة المتاعب**: «على ظهري حرث الحُرَّاث. طوّلوا أتلامهم» (آية 3) أتلام جمع تلم وهو ما يشقُّه محراث الفلاح من الأرض. فكم كانت قسوة متاعب المرنم الذي أُلقي أرضاً وضُرب بالسياط وساروا على ظهره حتى صار ظهره مثل الأرض المحروثة. وهي القسوة التي كانوا يعاملون بها أسرى تلك العصور، فقيل عن داود: «أخرج الشعب الذي فيها (في مدينة ربَّة) ووضعهم تحت مناشير، ونوارج حديد، وفؤوس حديد، وأمرَّهم في أتون الأجُرّ» (2صم 12: 31). وقيل عن هذا التعذيب: «وضعتِ كالأرض ظهرَكِ، وكالزُّقاق للعابرين» (إش 51: 23) فأُلقي بالناس على الأرض ليمرَّ العابرون على ظهورهم!

وكثيراً ما يسمح الرب لرافضي كلمته بمثل هذا العذاب القاسي ليجهِّز قلوبهم لقبول كلمته، كما يحرث المحراث الأرض لتصبح صالحة للبذار، ولتعطي ثمراً جيداً.

(ب) **خلاص الله**: «الرب صدِّيق. قطع ربُط الأشرار» (آية 4). يصف المرنم الرب بأنه صدِّيق، بمعنى أنه بار وعادل في كل أعماله، وهو يقول: «إلهٌ بارٌّ ومخلِّص. وليس سواي» (إش 45: 21). عندما يخطئ شعبه يسمح لهم بالمتاعب القاسية، لكنه لا يتركهم، كما فعل مع نحميا وصحبه، فقال له نحميا: «وأنت بارٌّ في كل ما أتى علينا لأنك عملت بالحق، ونحن أذنبنا» (نح 9: 33). إنه يسمح بالتأديب، لكنه يعود ويقطع الرُّبط التي تربط الثيران بالمحراث الذي يحرث ظهر المرنم فيتوقف عمل المحراث. إن قوة العدو محدودة مهما كانت قوية، ومصير أعداء الرب معروف مقدماً «ضجيج شعوب كثيرة تضج كضجيج البحر، وهديرِ قبائلَ تهدر كهدير مياهٍ كثيرة، ولكنه ينتهرها فتهرب بعيداً كعُصافة الجبال أمام الريح وكالجُلِّ أمام الزوبعة. في وقت المساء إذا رعب. قبلَ الصبح ليسوا هم. هذا نصيبُ ناهبينا وحظُّ سالبينا» (إش 17: 12–14).

ثانياً ــ مصير الأشرار محتوم
(آيتا 5، 6)

1 – الأشرار يخزون ويرتدّون: «فليخزَ وليرتدَّ إلى الوراء كلُّ مبغضي صهيون» (آية 5) فهم يحاربون معركة غير متكافئة. إنهم عُبّاد أصنام يحاربون الحصن الذي بُني عليه هيكل الرب، الذي قال عنه المرنم: «عظيمٌ هو الرب وحميدٌ جداً في مدينة إلهنا، جبل قدسه.. الله في قصورها يُعرف ملجأ. لأنه هوذا الملوك اجتمعوا. مضوا جميعاً. لما رأوا بُهتوا، ارتاعوا، فرّوا. أخذتهم الرَّعدةُ هناك» (مز 48: 1–6). سيرتدّون إلى الوراء طوعاً أو كرهاً، لأنهم يحاربون من هو أقوى منهم، كما قال المسيح لشاول الطرسوسي: «لماذا

تضطهدني؟.. صعبٌ عليك أن ترفس مناخس» (أع 9: 5)، والمنخاس قطعة حديدية ينخسون بها ظهر الثور ليسرع في جر المحراث، أو أنه سن المحراث نفسه. فهل يمكن لثورٍ أن يضرب برجله سنَّ المحراث لأنه ثائر ضد الفلاح دون أن يؤذي نفسه؟ برفسه المنخاس يجرح رِجله ولا يؤذي المحراث ولا صاحبه في شيء.

وقد يربح العدو معركة، لكن لا بد أنه يخسر الحرب، لأن النصرة النهائية هي للذي خرج غالباً ولكي يغلب، الذي ندعوه: «اللهم إلى تنجيتي. يا رب، إلى معونتي أسرِع. ليخزَ ويخجلْ طالبو نفسي. ليرتدَّ إلى خلفٍ ويخجل المشتهون لي شراً» (مز 70: 1، 2).

2 – الأشرار يهلكون: «ليكونوا كعشب السطوح الذي ييبس قبل أن يُقلَع. الذي لا يملأ الحاصد كفَّه منه، ولا المُحزِّم حِضنه» (آيتا 6، 7). ينمو نوعٌ من العشب على السطوح الطينية بعد نزول المطر عليها. ولأن هذا العشب ليس له عمق أرض فلا يرتفع ولا يستمر، بل يجف بسرعة قبل أن يُخرج بذوراً أو يعطي ثمراً. ولأن ساقه قصيرة لا يقدر الحاصد أن يملأ كفَّه منه، كما أن الذي يحزم الحزم لا يملأ حضنه منه لأنه قليل. وهكذا الأمر مع الأشرار، فهُم مثل عشب السطوح الذي لا يُفرح قلب حاصد ولا يملأ حضن محزِّم، فالشرير يميت الشرير «بالغداة كعشب يزول. بالغداة يُزهر فيزول. عند المساء يُجزُّ فييبس» (مز 90: 6). وقال الله عن أعداء شعبه: «قِصار الأيدي. قد ارتاعوا وخجلوا. صاروا كعُشب الحقل وكالنبات الأخضر، كحشيش السطوح، وكالملفوح قبل نموِّه» (إش 37: 27).

3 – الأشرار لا يُبارَكون: «ولا يقول العابرون: بركة الرب عليكم. باركناكم باسم الرب» (آية 8). كان العابرون يحيّون الحصادين بالقول: «بركة الرب عليكم» فيجيبهم الحصادون: «باركناكم باسم الرب». ولكن العابرين الأشرار لا يحيّون الحصادين الأشرار، لأنهم لا يحبون بعضهم بعضاً، أو لأن حصادهم هزيل، أو لأن أعداءهم ينهبون حصيدهم. و«لا سلام قال الرب للأشرار» (إش 48: 22).

أما المؤمنون فيتمتعون ببركة السلام، كما يقول الوحي: «وإذا ببوعز قد جاء من بيت لحم وقال للحصادين: الرب معكم. فقالوا له: يباركك الرب» (را 2: 4).. «سيقولون بعد هذه الكلمة في أرض يهوذا وفي مدنها عندما أرد سبيهم: يباركك الرب يا مسكنَ البر يا أيها الجبل المقدس.. لأني أرويتُ النفس المعيية وملأت كل نفس ذائبة» (إر 31: 23–25).

هذه دعوة إلهية قوية للتوبة والرجوع إلى الله «اطلبوا الرب ما دام يوجد. ادعوه وهو قريب. ليترك الشرير طريقه ورجل الإثم أفكاره، وليتب إلى الرب فيرحمه، وإلى إلهنا لأنه يُكثِر الغفران» (إش 55: 6، 7).

وهي أيضاً دعوة قوية لكل مؤمن أن يتشجَّع ويتشدد بالرب، لا يخاف ولا يرتعب.

اَلْمَزْمُورُ الْمِئَةُ وَالثَّلاَثُونَ

تَرْنِيمَةُ الْمَصَاعِدِ

1 مِنَ الأَعْمَاقِ صَرَخْتُ إِلَيْكَ يَا رَبُّ. 2يَا رَبُّ، اسْمَعْ صَوْتِي. لِتَكُنْ أُذُنَاكَ مُصْغِيَتَيْنِ إِلَى صَوْتِ تَضَرُّعَاتِي. 3إِنْ كُنْتَ تُرَاقِبُ الآثَامَ يَا رَبُّ يَا سَيِّدُ، فَمَنْ يَقِفُ؟ 4لأَنَّ عِنْدَكَ الْمَغْفِرَةَ. لِكَيْ يُخَافَ مِنْكَ. 5انْتَظَرْتُكَ يَا رَبُّ. انْتَظَرَتْ نَفْسِي، وَبِكَلاَمِهِ رَجَوْتُ. 6نَفْسِي تَنْتَظِرُ الرَّبَّ أَكْثَرَ مِنَ الْمُرَاقِبِينَ الصُّبْحَ. أَكْثَرَ مِنَ الْمُرَاقِبِينَ الصُّبْحَ. 7لِيَرْجُ إِسْرَائِيلُ الرَّبَّ، لأَنَّ عِنْدَ الرَّبِّ الرَّحْمَةَ، وَعِنْدَهُ فِدًى كَثِيرٌ 8وَهُوَ يَفْدِي إِسْرَائِيلَ مِنْ كُلِّ آثَامِهِ.

مزمور توبة

هذا المزمور سادس مزامير التوبة السبعة، وهي مزامير 6 و32 و38 و51 و102 و130 و143. منها أربعة مزامير هي 32، 51 ومزمورنا و143 سمّاها مارتن لوثر «المزامير البولسية» لأنها توضح أن غفران الخطايا نصيبُ كل من يؤمن ويضع ثقته في الفداء الذي دبَّره الله بالمسيح، وهو الفكر الغالب في كتابات الرسول بولس.

رأينا كيف صعد الحُجّاج إلى هيكل أورشليم ومثلوا في حضرة الرب وقالوا: «تقف أرجلنا في أبوابك يا أورشليم» وجعلوا يتذكرون مراحم الله عليهم، وتعبَّدوا معاً كأفراد وكعائلات. وفي هذا الجو المفرح تذكَّر أحد المرنمين خطاياه وعدم استحقاقه أن يمثل في حضرة الرب ويتمتَّع بتقديم العبادة لجلاله، فاحتمى في رحمة الرب عليه، ورتَّل كلمات هذا المزمور. فهو تائب يصرخ إلى الله لأنه يحسُّ بالذنب بعد أن رأى مجد الرب في هيكله. ولا بد أن ذكريات امتلاء الهيكل بالسحاب عندما دشَّنه سليمان ملأت نفسه بالرهبة والتقديس (1مل 8: 11)، كما فعل إشعياء حين سمع الملائكة يهتفون: «قدوس قدوس قدوس» فقال: «ويل لي! إني هلكت، لأني إنسان نجس الشفتين، وأنا ساكن بين شعب نجس الشفتين، لأن عينيَّ قد رأتا الملك رب الجنود» (إش 6: 5).

في هذا المزمور دعا المرنم شعبه للاعتراف والتوبة لينالوا الغفران الإلهي. وعبَّر عن مشاعر النفس البشرية التي تحس بالذنب، فتصرخ وتتضرع، وترجو وتنتظر وتترقب، ثم تثق بالإيمان المتيقن، لأن «الإيمان هو الثقة بما يُرجى، والإيقان بأمور لا تُرى» (عب 11: 1).

في هذا المزمور نجد:

أولاً – المرنم التائب يصرخ (آيات 1–4)

ثانياً – المرنم التائب ينتظر الفداء (آيات 5–8)

أولاً – المرنم التائب يصرخ
(آيات 1-4)

1 – الإحساس بالذنب يجعلنا نصرخ: «من الأعماق صرختُ إليك يا ربُّ. يا ربُّ اسمع صوتي. لتكن أذناك مصغيتين إلى صوت تضرُّعاتي» (آيتا 1، 2). يصرخ المرنمُ «من الأعماق» تعبيراً عن حاجته المُلحَّة وإحساسه بالخطر الشديد، فقد غاص تحت ثِقل خطيته. وعندما يقارن المرنم نفسه بقداسة الله يقول: يا رب، لقد تأملتُ أعماقي في نور كلمتك المقدسة، فكشفتْ نعمتُك ما بداخلها، وأنارني روحك القدوس فوجدت نفسي خاطئاً، ناقصاً، في الموازين إلى فوق، غير مستحق أن أمثل في محضرك المقدس. لذلك أصرخ إليك وأنا أشعر أني في منخفَض سحيق لأن خطاياي أبعدتني عنك، ولكن معرفتي بها ألجأتني إليك.. أنا ألوذ بك من كل مخاوفي «خلِّصني يا الله لأن المياه قد دخلت إلى نفسي. غرقتُ في حمأةٍ عميقة وليس مقرٌّ. دخلتُ إلى أعماق المياه والسيل غمرني. تعبتُ من صراخي» (مز 69: 1–3).

ثم انتقل المرنم من الصراخ إلى الحديث مع الله والتضرُّع إليه. إنه يحس بالذنب، فيصرخ تارة بصوت مرتفع كطفل مذعور حتى يسمعه أبوه ويخلِّصه، ويتضرع تارة أخرى بصوت خاشع، عالماً أن مراحم الرب ستفتقده وتفتش عليه كما يفتش الراعي الصالح على الخروف الضال حتى يجده، وكما امتدت يد مراحمه الإلهية إلى يوسف فأنقذه من البئر، وإلى دانيال فأنقذه من جب الأسود.

إنه يعرف وعد الله لسليمان يوم تدشين الهيكل، وقوله: «إذا تواضع شعبي الذين دُعي اسمي عليهم، وصلّوا وطلبوا وجهي، ورجعوا عن طرقهم الرديئة، فإني أسمع من السماء وأغفر خطيتهم وأبرئ أرضهم. الآن عيناي تكونان مفتوحتين وأذناي مصغيتين إلى صلاة هذا المكان» (2أخ 7: 14، 15).

2 – الإحساس بالذنب يدفع للتوبة: «إن كنتَ تراقب الآثام يا رب يا سيد، فمن يقف؟» (آية 3). يدرك المرنم أنه إن كان الله يحسب عليه خطاياه ولا يمحوها برحمته، فكيف يقف أمام محكمة العدل الإلهية؟ لقد قال عزرا: «ها نحن أمامك في آثامنا، لأنه ليس لنا أن نقف أمامك» (عز 9: 15). والمرنم لا يدَّعي البراءة، بل يعترف بعجزه وإثمه وعدم استحقاقه أمام قداسة الله وعدالته، كما يقول أيوب للرب: «إن أخطأتُ تلاحظني ولا تُبْرِئني من إثمي» (أي 10: 14). هذا هو اليأس الذي يقود إلى الأمل! إنه يأس من يعرف أن «الجميع زاغوا وفسدوا معاً. ليس من يعمل صلاحاً، ليس ولا واحد» (رو 3: 12)، ويعرف أن أجرة الخطية موت، ويعرف أن «الأخ لن يفدي الإنسان فداءً، ولا يعطي اللهَ كفارةً عنه. وكريمة هي فدية نفوسهم.. إنما الله يفدي نفسي من يد الهاوية» (مز 49: 7، 8، 15)، فيلقي رجاءه بالتمام على النعمة الإلهية، كما فعل العشار الذي وقف من بعيد لا يشاء أن يرفع عينيه نحو السماء، بل قرع على صدره قائلاً: «اللهم ارحمني أنا الخاطي» فنزل إلى بيته مبرَّراً (لو 18: 9–14). قال مارتن لوثر: «سأظل إلى آخر لحظة من حياتي شحاذاً أستجدي رحمة الله» لأنه «ليس بأحد غيره الخلاص. لأن ليس اسمٌ آخر تحت السماء قد أُعطي بين الناس به ينبغي أن نخلُص» (أع 4: 12).

3 – الإحساس بالذنب يدفع لحياة التقوى: «لأن عندك المغفرة لكي يُخاف منك» (آية 4). هذا ليس خوف الرعب من العقاب، ولا خوف اليأس من الغفران، لكنه خوف التقوى بعد أن منح الله التائب غفرانه. إنها مخافة المهابة والاحترام والإجلال للإله القدوس، الذي له وحده القدرة والسلطان على مغفرة الخطايا والذنوب، والقائل: «أنا أنا هو الماحي ذنوبكَ لأجل نفسي، وخطاياكَ لا أذكرها» (إش 43: 25). وغفران الله يجعلنا نحبه ونطيعه ونخدمه، وندعو إخوتنا وجيراننا ليتوبوا ويرجعوا إلى من يمحو كغيم ذنوبنا وكسحابة خطايانا. فلتكن صلاتنا: «قلباً نقياً اخلُق فيَّ يا الله، وروحاً مستقيماً جدِّد في داخلي. لا تطرحني من قدام وجهك، وروحك القدوس لا تنزعه مني. رُدَّ لي بهجة خلاصك، وبروح منتدبة اعضُدني، فأعلِّم الأثمة طرقك، والخطاةُ إليك يرجعون» (مز 51: 10–13). وهكذا نسير زمان غربتنا بخوف (1بط 1: 17).

ثانياً – المرنم التائب ينتظر الفداء
(آيات 5 –8)

1 – ينتظر الفداء لأن الله وعد به: «انتظرتُك يا رب. انتظرَتْ نفسي، وبكلامه رجوتُ. نفسي تنتظر الرب أكثر من المراقبين الصبح. أكثر من المراقبين الصبح» (آيتا 5، 6). «انتظرتك» في اللغة العبرية تعني مدَّ حبلٍ من جانب إلى آخر، تقف النفس الإنسانية على أحد جانبيه، وعلى الجانب الآخر وعد الله. ويربط حبل الانتظار النفس الإنسانية بالمواعيد الإلهية. إنه الانتظار الواثق للرحمة المعلنة «هوذا عين الرب على خائفيه الرَّاجين رحمته، لينجي من الموت أنفسهم، وليستحييَهم في الجوع. أنفسنا انتظرت الرب. معونتنا وترسنا هو» (مز 33: 18–20). «بكلامه رجوت» فإن كلمة الله ووعوده تتحقق دائماً، لأن الله أمين وصادق، انتظره المرنم انتظار الواثق أن الذي يرجوه آتٍ بلا شك. إنه «أكثر من المراقبين الصبح» المتأكدين من أن الصبح لا بد أن يجيء، مهما بدا الظلام حالكاً والليل طويلاً. لا بد أن النور ينبلج ويطلع النهار وتشرق شمس البر.

وكان المرنم يفكر في كثيرين ممن كانوا ينتظرون الصبح:

* منهم الكهنة، فقد كان كل كاهن يأتي عليه الدور للقيام بخدمة الكهنوت يستيقظ مبكراً قبل انقضاء الليل ليسرع إلى الهيكل ليقدم الذبيحة لفداء الشعب. والمرنم يريد أن يقدم خدمةً لإلهه.

* ومنهم الحراس الذين تنتهي متاعب سهرهم وحراستهم الليلية، فيعطون أجسادهم قسطها من الراحة. والمرنم يطلب راحةً لنفسه.

* ومنهم المسافرون الذين ينتظرون ضوء الصبح ليبدأوا رحلة سفرهم ويصلوا إلى غايتهم ويحققوا أهدافهم. والمرنم مسافر إلى المدينة السماوية يريد بلوغها.

* ومنهم المريض الذي يحس بالوحدة أثناء الليل، وينتظر طلوع النهار ليجد من يؤنس وحدته في مرضه. والمرنم يحس بالوحدة ويحتاج إلى شركة المؤمنين.

* ومنهم البحارة الذين وصلوا إلى الشاطئ ليلاً وينتظرون الصباح ليدخلوا الميناء. والمرنم ينتظر رسو سفينة حياته على شاطئ الأمان والراحة.

* ومنهم الخاطئ الذي يعيش في ظلام، وينتظر إشراق نور نعمة الله على قلبه، والحصول على المغفرة الإلهية.

ونحن نجد أنفسنا في كل هؤلاء المراقبين الصبح، فنحن ننتظر الرب ككهنة له نقترب إليه أكثر ونقرِّب الآخرين إليه. ونحن نشبه الحراس الذين يحتملون مسؤولية، ننتظر مجيء المسيح ثانية لتنتهي نوبة حراستنا ونستريح فيه. ونحن كالمسافرين المتَّجهين إلى المدينة السماوية، ننتظر وصولنا إليها أو مجيء المسيح ثانيةً ليأخذنا إليه. ونحن كالمرضى المتعَبين الذين أرهقتهم الحياة وهم يراقبون طلوع صبح الأمل لينعشهم الرب بشركة المؤمنين. ونحن نشبه البحارة الذين يبحرون، ننتظر الوصول إلى شاطئ الأمان بسلام لنرى المدينة العظيمة التي لها الأساسات التي صانعها وبارئها الله. ونحن خطاة ننتظر المراحم الإلهية والغفران السماوي أكثر من المراقبين الصبح. واقتراب البركة يجعلنا ننتظرها بشوق يتزايد، لأن «خلاصنا الآن أقرب مما كان حين آمنا. قد تناهى الليل وتقارب النهار، فلنخلع أعمال الظلمة ونلبس أسلحة النور» (رو 13: 11، 12).

2 – ينتظر الفداء لأن الله رحيم: »ليرجُ إسرائيلُ الرب، لأن عند الرب الرحمة، وعنده فدًى كثير» (آية 7). لم تستطع كل خطايا البشر أن تُنقص مراحم الله وفداءه ولو حبة خردل! وعلى هذا فليس لنا ملجأ من خطايانا إلا إن تغمَّدنا برحمته وفدانا بكفارته. قال الرب: «هل أفرايم ابن عزيز لديَّ أو ولد مُسرّ؟» (والإجابة الطبيعية هي: لا، لأنه خاطئ) ولكن الله يمضي فيقول: «لأني تكلمتُ به أذكره بعدُ ذِكراً. من أجل ذلك حنَّت أحشائي إليه. رحمةً أرحمه يقول الرب» (إر 31: 20). لم يكن سبط أفرايم مُسراً، بل كان يستحق العقاب، ولكن الله لم ينسَه ولا تركه في خطاياه، بل كان يذكره ويكرر ذِكره، ويحن عليه بكل مشاعره ويريد أن يرحمه. وهذا ما يوضحه القول الرسولي: «وأنتم إذ كنتم أمواتاً بالذنوب والخطايا.. الله الذي هو غني في الرحمة من أجل محبته الكثيرة التي أحبنا بها، ونحن أمواتٌ بالخطايا، أحيانا مع المسيح.. وأقامنا معه وأجلسنا معه في السماويات» (أف 2: 1–6).

نعم، عند الرب الرحمة وعنده فدى كثير، مبني على عظمة الفادي، فالمسيح قدم نفسه كفارة عن البشر جميعاً مرة واحدة فوجد للجميع فداءً أبدياً. وهذا أسمى من كل ذبائح شريعة موسى، التي كانوا يقدمونها يومياً، وأسبوعياً، وفي الأعياد، وكانت كلها رمزاً إلى الواحد الوحيد، حمل الله الذي يرفع خطية العالم، الذي «يقدر أن يخلِّص إلى التمام الذين يتقدمون به إلى الله، إذ هو حيٌّ في كل حين ليشفع فيهم» (عب 7: 25).

3 – ينتظر الفداء لأن فداء الله كامل: «وهو يفدي إسرائيل من كل آثامه» (آية 8). إسرائيل هنا هو نسل إبراهيم الروحي، الذين يؤمنون إيمان إبراهيم من كل خلفية وجنسية. والفداء المقدَّم من الله فداء كامل لا جزئي ودائم لا مؤقت، لأن كفارة المسيح تتسع لتغطي وتستر كل خطايا البشر في كل العصور «ودم يسوع المسيح ابنه يطهرنا من كل خطية.. ويطهرنا من كل إثم» (1يو 1: 7، 9). لا توجد خطية مهما عظمت لا يكفِّر عنها دم المسيح ويسترها إن جئنا إليه تائبين، فالفداء عمل إلهي، نابع من الحب الإلهي، ومتوافرٌ لنا بسبب التدخُّل الإلهي لصالح الساقطين البعيدين. هناك أمل لكل نفس خاطئة مهما كانت بعيدة حين ترجع خاشعة قائلة: «ارحمني يا الله حسب رحمتك، حسب كثرة رأفتك امحُ معاصيَّ. اغسلني كثيراً من إثمي ومن خطيتي طهرني.. إليك وحدك أخطأت.. لكي تتبرَّر في أقوالك وتزكو في قضائك» (مز 51: 1–4). فاطلب الفداء الإلهي بثقة.

هذا المزمور يكشف لنفوسنا عمق الألم الذي يسببه الإحساس بالذنب، ويشجعنا أن نصرخ من الأعماق طالبين النجاة، دون أن نبذل أي محاولات بشرية لإنقاذ نفوسنا، فكل محاولاتنا عاجزة وفاشلة. فلنلجأ إلى الرحمة الإلهية متكلين على الغفران الإلهي، المبني على الفدى الكثير، لأن الله يدعونا ويقول: «هلمَّ نتحاجج يقول الرب: إن كانت خطاياكم كالقرمز تبيضّ كالثلج. وإن كانت حمراء كالدودي تصير كالصوف» (إش 1: 18).